كامل كيلاني

قصص علمية

زهرة البرسيم

الطبعة العاشرة

دار المعارف بمصر

الناشر: دار المعارف بمصر- ١١١٩ كورنيش النيل- ج.م. ع.

فاتحة القصة

١- نموذج الحسن

كانت أبرع بنات جنسها جمالاً، وأبدعهن قوامًا (أحسنهن قامة وتكوينًا واعتدال جسم)، وأظرفهن منظرًا. كانت -لوسامتها، وتألق عينيها، ودقة أنفسها الصغير الوردي، ورشاقة أقدامها المبطنة بالشعر -مثالا للحسن ونموذجًا للملاحة.

لو رأيتها - وهي تختال وتتبختر في جلبابها الأبيض الأنيق- لما تمالكت من فرط الإعجاب بها، والافتتان بمنظرها الرائع الأخاذ.

كان أشهى غذائها: البرسيم.

كانت تؤثر هذا الطعام (تفضله) على ألوان الأطعمة المختلفة الأخرى.

لا تعجب إذا أطلق عليها صواحبها ورفيقاتها لقب "زهرة البرسيم".

كانت -بين الأرانب- في مثال جمال الزهرة التي يزدان بها نبات البرسيم، وهو -كما حدثتك- أشهي طعام تحبه الأرانب.

٢- الأسرة السعيدة

كانت "زهرة البرسيم" –تلك الأرنبة الصغيرة الظريفة الشقراء –تعيش مع أبويها، وأختيها، وإخوتها الثلاثة، في جحر عميق، حفرها أبوها "الخزز" في سفح؛ أعني: مكان منخفضًا –اختاره لسكناه– يكتنفه سياج (يحيط به سور) من الأعشاب، بالقرب من بعض التلال المشمسة الرملية.

كان "الخزز" خير مثال لرب الأسرة البار الشفيق.

كانت زوجته "عكرشة" تحبه حبًا جمًا، لإخلاصه ودمائه وخلقه (سهولة ولين طبعه).

كان "الخزز" –في الحقيقة– جديرًا بكل إعجاب؛ لأنه لم يدخر وسعًا في إسعاد أسرته: كان يقضي وقته كله مع أولاده وزوجته، فلا يقارنهم إلا لضرورة قاهرة. لا عجب إذا نعمت هذه الأسرة بسعادة نادرة فلما يظفر بها أحد من الناس.

٣- مرض "عكرشة"

لم يكن ينغص عليهم سعادتهم، ويكدر صفوهم، إلا شيء واحد، هو مرض "عكرشة": أم الأرانب وزوجة "الخرز".

كانت تشكو السقام ولا تستطيع النهوض.

اضطر زوجها النبيل إلى تهد أبنائه، والسهر على راحتهم.

٤- نشأة "الخزز"

كان "الخزز" قد جاب البلاد وطاف بها –في أول تشابه وعاشر الناس، واكتسب أكرم ميزاتهم، وجمع –إلى إخلاصه ووفائه– تجربة نادرة، وثقافة بكل ما يحتاجون إليه في الحياة من فنون المعرفة وأنواعها. نشأ "الخزز" –منذ حداثته– في بيت زارع يعيش في إحدى القرى النائية البعيدة.

كانت حفيدة الزارع تحبه أشد الحب: لا تكاد تفارقه لشدة الألفة والحب والإيناس بينهما.

هرب "الخزز" من بيت الزراع، حين رأى ربة البيت تذبح أحد رفاقه (أصحابه)، لتهيئ لزوجها غذاءه. لم يطق البقاء في البيت –منذ ذلك اليوم– وهجرة إلى حيث يعيش مع أسرته.

٥– الليلة القمراء

لما غربت الشمس، اجتمعت الأسرة كلها في مكوها: جحرها قال "الخزز" لأبنائه: "هل أنتم معدون؟ فإنا على الرحيل عازمون".

أسرع "أبو نبيه" – وهو أكبر أبناء "الخزز"– إلى أمه "عكرشة" ليودعها قبل سفره. كانت ممدودة في ركن منزو من الجحر. تعان آلام المرض.

سألها محزونًا لسقامها: "كيف أمسيت، يا أماه؟"

أجابته" لازلت أعاني آلام المرض. إني ليحزنني أن أهم بالقيام، فتكاد ساقاي لا تحملاني لضعفها!"

قالت "زهرة البسيم"!

قالت "زهرة البرسيم"!

"كلا. لا تقولي ذلك، يا أماه!"

أقبلت على أنه تؤسيها (تصبرها)، وتمر لسانها على أذنه "في حنق ورفق– تسرعى (تذهب) عنها ما تكابده من ألم، وتبشرها بقرب شفائها.

رأى "الخزز" أن الوقت يمر سريعًا، فصاح في أبنائه آمرًا: "هلموا أيها الأبناء. لقد أرسل القمر –فيما أعتقد– أشعته الفاتنة على الدنيا.
لابد أن نتعشى. لا تضيعوا وقتكم عبثًا.

سأريكم: أي حقل من حقول البرسيم قد وفقت إليه في هذه المرة؟ إنه حقل حافل (محتشد مملوء) بذلكم الطعام الشهي، السائغ الهني، الذي يتحلب ريقنا (يسيل لعابنا) شوقًا إليه.

لا عجب في ذلكم؛ فهو من لذائذ الأطعمة التي تصبو (تميل) إليها نفوسنا".

صاح الأبناء يودعون أمهم –في جزع وأسف– ثم خرجوا من جحرهم، ورفعوا آذانهم وأذنابهم في الهواء، وأسلموا سوقهم للريح، ساقًا بعد ساق، وهم يقفزون في رشاقة وخفة عجيبتين.

وقفوا على مسافة قريبة ينتظرون مقدم أبيهم "الخرز"، ليرشدهم إلى طريق الحقل.

كان "الخزز" حينئذ– يؤسي (يعزي) زوجته "عكرشة" المريضة، ويوصيها بالصبر والتجلد، ذلك العطف، وتمنت له السلامة في رحلته (سفره)، حتى يصل إلى رحلته (الجهة التي يقصدها).

حانت من "الخزز" التفاتة. رأى "زهرة البرسيم" لا تزال باقية في الحجر. قال لها: "ما بالك لم تذهبي مع إخوتك؟

ألا تحبين أن تشركينا في هذه الرحلة الجميلة؟"

قالت: "زهرة البرسيم": "كلا، يا أبت. لن أترك أمي المريضة وحيدة في هذا الجحر!"

قال لها "الخزز": "بارك الله فيك، يا عزيزتي. إني مكافئك –عند عودتي– بما يسرك. فوداعًا"

خرج "الخزز". رأى أبناءه ينتظرون مقدمة على مسافة قصيرة من الجحر. لما رأوه مقبلاً هتفوا فرحين. تقدم "الخزر"، وتبعه بنوه. كانوا يقفزون في الهواء مسرورين.

الفصل الأول

١- على الحشائش

قالت "عكرشة" لبنتها "زهرة البرسيم":

"ما بالك لم تذهبي مع إخوتك وأبيك إلى حقل البرسيم؟"

أجابتها جانية (عاطفة) متوددة:

"كلا يا أماه.. ما أنا بجائعة.. ولست أوثر (لا أختار) شيئًا في الدنيا على البقاء إلى جانب أمي الحبيب. هلمي (أقبلي). نامي على هذه الحشائش اللينة الرقيقة؛ لعلها تخفف شيئًا من أوجاعك، وتزيل آلاخ ساقيك."

لم تترد "عكرشة" في ذلك.

أعانتها "زهرة البرسيم". أقامتها حتى أجلستها على الحشائش. جلست إلى جانبها صامتة (ساكتة).

حب القصص

سألتها "عكرشة":

"فيم تفكرين. يا عزيزتي؟"

أجابتها "زهرة البرسيم":

"أنت أدرى بما يشغلني، يا أماه. لكنك مريضة متعبة ليس من البر بك أن أزيدك تعبًا."

قالت لها "عكرشة": "آه. لقد عرفت ما تطلبين! ألست تريدينها قصة؟"

قالت "زهرة البرسيم":

"لم تعدي (لم تتجاوزي) ما في نفسي، يا أماه. ليس أشهى إلى ممن سماع قصصك المعجبة."

قالت "عكرشة":

"اجلسي أمام ناظري لأمتع برؤيتك، ويهج نفسي جمال عينيك البراقتين. إني قاصة عليك ما وقع لأحد أشقائك، منذ زمن بعيد، لا أحسبه يقل عن أثنى عشر شهرًا."

٣- الطفل الصغير

أنصت "زهرة البرسيم" (سكتت مستمعة) لحديثها. أرهفت أذنيها لسماع القصة. استأنفت "عكرشة" قائلة: "في مساء يوم من الأيام خرجت ومعي ولدي "أبو نبهان" لعلها أول مرة أخرجته فيها من الجحر.

ذهبنا إلى حقل ناء (بعيد) من حقول "السعتر".

كان "أبو نبهان" –بكر أولادي– مدللاً (محبوبًا يلاطف وتترك له الحرية يفعل ما يشاء). كان –إلى ذلك– عنيدًا شاذًا ألا تفهمين ما أعنيه؟ أعنى: أنه كان يسير وفق أهوائه، لا يعمل إلا ما يريد. إذا عنت (خطرت) له فكرة خاطئة، لم يستشر أحدًا، ولم يخش كائنًا كان، ولم يبال العواقب. إذا أجمع أخوانه وخلصاؤه (المخلصون له) على فساد خطته، وخطا طريقته، هزأ بهم، وسخر منهم، ولم يصغ (لم يستمع) إلى نصحهم، وأصر على إنفاذ ما يريد، في لجاجة وإلحاح وعناد.

جرت عليه تلك الحماقة أشد النكبات..."

٤- في سبيل الطعام

سكتت "عكرشة". تأوهت من أوجاعها. قالت:

"آي! آي! ساقي اليمنى.. شد ما تؤلمني ساقي اليمنى!.. ألا تساعديني على الحركة لأضجع على جنبي الأيسر؟"

لبت "زهرة البرسيم" طلبها. شكرت لها "عكرشة" صنيعها، وحمدت معروفها. قالت لها:

"لست أذكر أين انتهيت في تلك القصة"

آه.. ذكرت الآن كل شيء.. حدثتك أن "أبا نبهان" كان غريب الطبع. لم يشا البقاء في حقل "السعتر": يقضم منه (يكسر بأطراف أسنانه) ما يشتهي، يأكل من طيباته كما نأكل أب إلا أن يتسلل (يتنقل مستخفيًا) إلى حيث يشاء. ابتعد عنا بعد قليل. لعله كان يبحث عن طعام آخر.

٥- صرخة المستغيث

إني لأقضم ساقًا مزدهرة من النبات، إذ دوت في أذني صرخة مزعجة. أجلت بصري (درت بعيني) في أولادي لأحصيهم (لأعدهم). لم أجد بينهم "أبا نبهان". قفزت عادية (جارية) – يمنة ويسرة– وأنا أناديه بأعلى صوتي:

"يا أبا نبهان! إلى، يا أبا نبهان"

سمعته يغوث، طالبًا النجدة.

٦- بين مخلبين

أعزز على ما لقيت من الآلام، يا "أبا نبهان"!

أتعرفين ماذا رأيت –حينئذ– يا "زهرة البرسيم"؟

رأيت ما فزعني وهالني وكاد قلبي ينفطر له (ينشق):

أبصرت ولدي العزيز بين مخلبي سبع من سباع الطير (طائر من أكلة اللحوم).. لك الله، يا ولدي. حاولت –جهدك– أن تفلت من مخلبيه. لم تستطع إلى ذلك سبيلاً.

كنت تستصرخ أمك الحنون المسكينة، فلا تقدر على إنقاذك من براثن الردى (أصابع الموت)!

هممت – يا "زهرة البرسيم"– أن أسرع لنجدته، لكن ساقي لم تقويا. لم أستطع السير. انتظمتني الرعدة (شملتني الرعشة). سرت في جسمي. تفككت أوصالي.

لم أخط –من مكاني– خطوة واحدة.

وقفت –حيث كنت– وقلبي يكاد يتمزق من الألم.

دنت الساعة المرهوبة الهائلة.."

٧– دمعة الحزن

لما وصلت "عكرشة" إلى هذا الحد المؤثر، هاجتها الذكرى. وقفت عن الكلام. كفكفت (مسحت) بيدها دمعة متحدرة على أنفها.

أقبلت عليها "زهرة البرسيم" تؤسيها، وتقول لها:

"كفى.. كفى، يا أماه!..

لا تتمي هذه القصة، ما دامت تثير أشجانك وهمومك.."

تجلدت "عكرشة". قالت لبنتها متأسية (متعزية متصبرة):

أنصتي إلي. اذكري هذا الحديث طول عمرك. إن فيه درسًا نافعًا لك، وعبرة لكل م يعتبر. السعيد من وعظ بغيره (عرف العواقب وتذكرها بما يحدث لسواه)، والشقي من وعظ بنفسه (عرف العواقب بما يصيبه هو من السوء والأذى)."

٨- مصرع "أبى نبهان"

سكتت "عكرشة" لحظة، استأنفت قائلة:

"رأيت لهذا السبع الفاتك منقارًا أعقف (متلويًا) وعينين واسعتين مستديرتين. علمت أنه عدونا اللدود: "أم الخراب"!

رأيت "أم الخراب" -أعنى: تلك البومة الفراسة العادية (الظالمة) -ترتفع بولدي فجأة. رأيتها تضربه بمقارها الحاد ضربة واحدة، فتخمد أنفاسه.

رأيت "أبا نبهان" يكف عن صراخه، مال رأسه، تخلج ذنبه الصغير (اضطرب وتحرك)! فاضت روحه، أصبح جثة هامدة.

أمسكت به "أم الخراب" بين مخلبيها. فتحت منقارها الهائل ابتلعته. غاص في جوفها."

٩-حزن العشيرة

استأنفت "عكرشة"، قائلة: "ظللت أبكي -بين الأعشاب- زمنًا طويلاً، حتى نفدت دموعي (فنيت).

رجعت إلى الحقل محزونة كاسفة البال، تغشاني الهموم.

أخبرت عشيرتي بذلك الحادث الجلل (العظيم).

تملك الأسف قلوبهم. بكوا لمصابي في عزيزي الحبيب: "أبي نبهان".

دنا مني عمك الشيخ "أبو نابه". ظل يؤسيني.

هو -كما تعلمين- شيخ مجرب بصير.

١٠ - خطبة "أبي نابه"

وقفت على ساقيه، أشار بيديه يخطب الأرانب في فصاحة وطلاقه. كان يقول:

"عزيزاتي وبناتي وأبنائي: إن قلبي حزين يكاد ينفطر من الأسى والألم. إن "أبا نبها" –هو ابن أخي العزيز– كان مثال الذكاء، وإن لم يكن مثله الطاعة كان –لولا عناده– وعدًا (مرجو المستقبل). لو عاش لأصبح فخارًا أسرتنا، ومناط رجائنا (معقد أملنا الذي نتعلق به).

لكن القضاء عاجله. ليس لنا من حيلة في رد عادية الردى ودفع غائلة الموت (هجومه)؛ فلنبكه مترحمين عليه.."

بكت أسرة الأرانب مصرع "أبي نبهان" وفاجعته.

استأنف "أبو نابه" قائلاً:

"وأنتم يا أبناء أخي، وينا بنات شقيقي العزيز: ألم تعتبروا بهذا المصرع المؤلم؛ أرأيتم عاقبة العناد، والانفراد بالرأي، واحتقار نصيحة الناصحين؟ فليكن لكم في هذا المصاب درس وعظة، ولتعاهدوني –جميعًا على أن تكونوا مثال للطاعة، وأن تعيشوا كما يعيش العقلاء المتبصرون؛ حتى تأمنوا مثل هذه الخاتمة المفزعة.."

١١- نصيحة المجربين

كان الأرانب الصغار يصغون (يستمتعون) إلى كلام "أبي نابه: وينصوت إلى نصيحته، بقلوب واعية. أرهفوا آذانهم، فلم تفلت منها كلمة أحد منهم أقل حركة.

قال "أبو نابه" مستأنفًا:

"متى حللتم من حقول الكرنب، فلا تشغلنكم لذة الطعام عن النصر واليقظة، ولترهفوا أسماعكم حتى لا تدهمكم "أم الصباين": تلكم البومة الفاتكة العادية (الظالمة) التي قتلت شقيقكم، إنه تتحين الفرص لقتلكم، وتتربص بكم الدوائر، وهي ألد أعدائنا.

إذا سمعتم صوتها الكريه وهي تصيح: "وو- وو!" فاختبئوا -من فوركم- فإنها حادة البصر والسمع.

وهي ترى وتسمع كل شيء، وتهبط علينا فجأة دون أن نسمع لها حركة، وتقتلنا بنقرة واحدة: شعرًا ولحمًا ودماً وعظمًا!

وهي تقتنصنا -معشر الأرانب- كما تقتنص الفئران والجرذان وبنات عرس، وغير هذه الأنواع من الحيوان.

وطريقتها أن تبتلع الفريسة مرة واحدة، وتخزنها في جوفها حتى يتم هضمها، ثم تلقى بعظامها وفروها -أو ريشها- في العش؛ لتتخذ هذه البومة منها أثاثًا لبيتها، وفراشًا لها ولبناتها"

١٢- عقاب الشره

هنا بدا التعب على أسارير خطينا (خطوط جبينه). وقف عن الكلام لحظة. أجال بصره، وأدار عينيه فينا. كنا نحيط به منصتين إلى نصحه الثمين وسط الحقل. لمعت عيناه في ضوء القمر. بدا شعره الأبيض -حينئذ- فمازه (أظهره) من الأرانب الرمادية الأخرى. استأنف عمك قائلاً:

"للبومة- كما لأمثالها من الجوارح، أعني: سباع الطير كالصقر والحدأة- منقارة معقوف(شديد الانحناء). وهو -على قصره- غليظ متين.

مخالبها -كما حدثنا الثقات العارفون- قوية قابضة منحنية، تنشبها (تعلقها) في الجدران وغصون الشجر.

متى شبعت البومة، نامت على غضنها –حيث أقامت عشها– نومًا عميقًا.

لكن لا تنسوا –يا أولادي– أن لكل إساءة عقابًا، وأن جزاء البغي والظلم وشدة النهم (الشره في الأكل)، لابد حائق بذويه (محيط بأصحابه)، عاجلاً أو آخلاً.

إن "أم الخراب" ما إن تستيقظ من سباتها العميق (نومها المستغرق)، حتى تنتابها الآلام والأوجاع في رأسها ومعدتها، كما تنتابنا إذا أفرطنا في أكل الحشائش المبتلة، سواء بسواء.

ليست تخف آلامها حتى تلفظ من جوفها جلدنا وعظمنا.

فإذا أخرجته استسلمت للنوم مرة أخر."

الفصل الثاني

١- خطبة ""الخزز"

لما أتم عمك الشيخ "أبو نابه" هذه الخطبة النفيسة، نهض في إثره خالك الحكم الشيخ: الخزيز"؛ فشكر لذلك الخطيب المبدع نصائحه الثمينة. ثم قال، بعد أن أثني على خطابه الرائع: "أيها الأهل الكرام""

إن مصر ابن أختي العزيز: "أبي نبهان" قد عز علينا جميعًا، فامتلأت قلوبنا منه حزنًا وأسفًا. لكن الحزن والأسف -كما تعلمون- لا ينفعان أحدًا. فلنتخذ من مصرعه عبرة لنا وموعظة؛ فلا نعرضن أنفسنا -مرة أخرى- لخطر هذه العدو اللدود التي فتكت بفقيدنا العزيز "أبي نبهان"، ولا نستهينن بخطرها وقوتها، وإلا أصابنا مثل ما أصاب الفتى الطائش: أبا درصان".

٢- العجوز القاسية

صاح الحاضرون يسألونه: "وما هي قصة أبي درصان؟" قال "الخزز":

"أيها الأعزاء! على سطح جرن عال، في حقل منبسط فسيح، عاشت العجوز القاسية، بعد أن أتخذت في ذروة الجرن (أعلاه) بيتًا تأوي إليه بيتها العالي في سقف الجرن الذي يخزن فيه الزارعون ما يجمعون من غلات حقولهم؟

إنها عدوتكم اللدود "أم الصبيان": تلكم البومة التي حدثكم عنها عمكم الشيخ المجرب:"أبونابه". تلكم العجوز الفراسة الفتاكة التي لا تعرف الرحمة إلى قلبها سبيلاً..

٣- طرطور العجوز

هي في حجم الغراب. لكنها أوفر دمامة (أكثر قبحا) وأعنف طبعًا، وجسمها منقط بالبياض.

اجتمع الريش في رأسها. أحاط به. خيل إلى رائيها أن طرطورًا يبدو على جبينها.

أطلت من خلال هذا الطرطور عينان صفراوان، استدارتا كما تستدير الحلقتان الواسعتان، والتهبتا كما يلتهب المصباحان المضيئان.

٤- ضوء البدر

كان البدر يملأ الدنيا نورًا في هذ ه الليلة. كان يرسل ضوءه الوهاج على الحقول فينيرها، وعلى الأشجار فيجوس (يتخلل) أغصانها العارية، ثم ينفذ إلى الأرض، فيبدد الظلام الحالك.

٥- "أبو درصان"

سيدي العم، سيداتي وسادتي: بنات بنهان والخزز:

رويت عن أمي، عن أبيها، عن جدها: أن جرذًا (فأرًا) اسمه: "أبو درصان"، كان يعيش مع والدته: "أم راشد"في جحر صغير أتخذاه مسكنًا لهما في أسفل حائط هذا الجرن الكبير الذي حدثتكم به.

٦- عمر البدر

كانت الليلة ليلة البدر –فيما أظن– أعنى أن عمر القمر حينئذ كان أربع عشرة ليلة.. أو لعلها ليلة السواء. أعني أن عمر القمر كان فيها ثلاث عشرة ليلة.

٧- الغناء المزعج

نعبت البومة (صوتت) -على غير عادتها كل ليلة- بصوتها القبيح: فانزعج -لسماع نعيبها- كل كائن حي. كانت تسمي صراخها القبيح: غناء، وهي تصوت ناعمة:

تو- وت- تو- وو

تو- وت- تو- تو

تو- وت- تو- وو

عا- شوا- ما- توا

لم يكن في الدنيا أحد يطرب لصوتها القبيح غيرها.

٨- غيظ "أبي درصان"

بينا هي مسترسلة في نعيبها، إذ أطل "أبو درصان" من جحره الضيق. هو فتى من فتيان الجرذان (الفيران). كان سليطا (طويل سيء الكلام).

قال للبوهة (البومة) "أم الصبيان":

"أي صوت مزعج ترسلين، أمريضة أنت؟ لماذا تنعبين؟"

تغاضت عنه "أم الصبيان" (أعرضت ولم تبال)

ترفعت عن مناقشته. أغمضت عينها عنه.

كانت أحزم وأكيس من أن تناقش "أبا درصان": ذلكم الطفل الطائش السليط اللسان.

تألق ضوء القمر؛ فأنار عليهما جمعيًا. ابتسم للكون ابتسامة المحبوبة. لكنه لم يكن -فيما أعلم- يأبه لهما (يهتم بهما). أو يعني بأمرهما.

٩- جزع "أم راشد"

قفز "أبو درصان" عائدًا إلى جحره. تلقته "أم راشد" مذعورة. قالت له بصوت متهدج (مضطرب) يكاد يتميز (يتقطع) من الغيظ: "أي كلام هذا الذي كنت توجهه الآن، إلى البومة "أم الصبيان"؟

ألم أحذرك منها مرة بعد مرة؟

ألم أقل لك: إنها من سباع الطير، وإنها فراسة، قاسية القلب، صعبة المراس (عنيفة في طبعها ومعاملتها)، وغن فتكاتها بنا –معشر الجرذان (الفيران)– قاتلة مهلكة.

ألم أوصك بالابتعاد عنها، والفرار منها، والهرب من لقائها، ما وجدت إلى ذك سبيلاً؟

كيف نسيت نصيحتي، وتعمدت الخروج لهذا الطائر الفتاك؟"

١٠- جواب طائش

قال "أبو درصان":

"لا تتمادي (لا تدومي ولا تسترسلي) في غضبك، يا أماه.

ما أظنني قد فعلت ما أستحق عليه كل هذا اللوم والتعذير (المؤاخذة والتوبيخ)."

ارتفع صوته عاليًا، وهو يقول: "إنما أردت أن أعبث (أمزح وألهو) بها وأعاكسها. لم لا؟ صوتها –كما تسمعين– من أنكر الأصوات وأقبحها. أي حرج على إذا سحرت منها قليلاً؟ وددت لو سمعتها وهي تنعب، يا أماه! أذن لما تمالكت من السخرية بها.إن نعيبها القبيح يضحك القط!"

١١- رعشة الخوف

صرخت أمه مغتاظة: تملكها الفزع والرعب:

"يضحك القط؟ يا لك من غبي جرئ!

كبرت كلمة تخرج من فمك، أيها الأبله!

أي حادث دهاك فأفقدك رشادك في هذه الليلة؟ أي خبال أعتراك، فاندفعت تهرف (تتكلم على غير هدى) بهذا الهذيان؟

كالما نهيتك عن التمادي في أمثال هذا الهراء (القول الباطل)!

يضحك القط؟ كيف جرؤت على أن تذكر هذا الاسم الكريه المفزع؟ كيف ساعفك لسانك على النطق بهذا اللفظ الراعيب؟

إن سماع اسم القط –وحده– ليكفي لإيذائي وإلحاق المرض بي. ويحك! لقد ذكرتني بهذا السبع الفراس. ملأت قلبي فزعًا ورعبًا"

ما أتمت قولها حتى ارتعد جسمها من الفزع. سرت الرعشة فيه كله، فانتظمته (شملته) من أعلى رأسه إلى طرف ذيله الطويل.

١٢– آراء خاصة

دهش "أبو درصان" متضجرًا. قال في نفسه:

"يا لها من جبانة رعديدة (شديدة ا لخوف)!"

ثم لف جسمه وكوره –قبل أن تأخذه سنة (غفوة) من النوم– وهو يقول:

"لست أشك في أن "أم الصبيان" دميمة (قبيحة الصورة).

إنها لا تستطيع أن تلحق بي شيئًا من الأذى.

إنها بلهاء نؤوم (كثيرة النوم). ليس لها من عمل تؤديه –طول وقتها– سوى الجلوس على رأس هذه الشجرة الجوفاء (الفارغة)، محدقة فيها بعينين لا تزالان تطرفان، ولا يكف عن الرعشة هدباهما (الشعر الذي ينبت في أطراف الجفنين).

لست أرتاب (لا اشك) في أنني أسرع منها عدوًا (جريًا) وأوفر (أكثر) نشاطًا. هل في قدرة هذه العجوز المكسال (الشديدة الكسل) أن تسبقني؟ كلا، ما أظن ذاك.

ما أحسب هذه الهرمة (الكبيرة السن) إلا عاجزة عن الحركة، بله العدو (فضلا عن السير السريع والجري)!"

١٣– في عالم الأحلام

أسلم عينيه للكرى (للنوم) رأى –في منامه– حلمًا بهيجًا. لم ير أجمل منه طوال حياته: وجد نفسه في مخزن حافل بأشهى ألوان الأطعمة. رأى أمامه أكداسًا من الشمع والجبن، وهو يتأنى في المضغ، ويتذوق من هذا الطعام ما لذ وطاب.

كان باب الحجرة مغلقا.

لم تستطع "أم الصبيان" أن تنفذ إلى "أبي درصان".

لم تقدر على تنغيض زاده الشهي، ومأكله الهني.

رأى –فيما رأى– أن "أم الصبيان" وقفت خارج النافذة الصغيرة التي دخل منها.

حاولت الدخول فلم تستطع لضخامة جسمها: وقفت متألمة حسري (متوجعة متحسرة)، تحاول أن تشركه في شيء من زاده، دون أن تظفر ما بطائل (بفائدة).

١٤- حلم الجائع

رآها تتوسل إليه ضارعة أن يخرج لها – من النافذة– ولو قطعة صغيرة من الجبن. لكن الجرذ لم يجب لها شفاعة ولا رجاء. أصر على رفض ما تطلبه في عناد وشماتة.

مـازال الجـرذ يواصـل الأكـل متأنيًـا (بطيئًا)، ولا يكف عن الطعام إلا لحظات يسيرة، يتفكه في خلالها بمداعبة "أم الصبيان" والسخرية منها.

كان يراها –في منامه– وهي تلح في الدخول من النافذة الضيقة فلا تستطيع؛ فتتمثل له غباوتها، ويتخيل أنها بلهاء، حق بلهاء.

١٥- في عالم اليقظة

استغرب (زاد في الضحك وأكثر منه). تمادى في فرحه وابتهاجه بما ظفر به من لذائذ الأطعمة، حتى أفاق من نومه.

انقضى حلمه، واستخفى –عن ناظره– المخزن الحافل بما يحويه من جبن شهي وعسل سائغ وشمع لذيذ!

واحسرتاه عليه! كان ما رآه أضغاث أحلام (أخلاطها).

تأوه محزونًا وقال: "يا له حلمًا رائعًا بهيجًا!"

أطبق عينيه ثانية. حاول أن يستعيد الحلم الجميل مرة أخرى. لكن كيف يتسنى للحالم أن يستعيد –بعد اليقظة– ما كان يستمتع به من جميع الأحلام؟

١٦- غرور الحماقة

ما لبث "أبو درصان" أن استسلم للضحك مرة أخرى.

تملكته البهجة مما ظفر به في نومه من السخرية بأم الصبيان، والضحك من بلاهتها!

إنه لغارق في هذه الذكريات السارة، إذ دوت (ارتفعت) بأعلى صوتها القبيح. ما إن سمع نعيبها (نعيقها) حتى استولى عليه الضحك مما سمع، وقال في نفسه فرحان مسرورًا:

"ليت شعري (ليتني أشعر وأعلم)! هل تعرف هذه العجوز البلهاء: أي صوت منكر سخيف ينبعث من فيها (فمها)؟

ألا ليتها تعلم كم يسليني هذا السخف منها والهراء!

لعل من البر بها، والعطف عليها، أن أفضى إليها (أخبرها) بهذه النصيحة الغالية، وأن أبين لها حقيقة أمرها؛ حتى يتأكد لها أن الكائنات كلها تجمع على استهجانها (كراهيتها) واستنكار صوتها. يا صدق من سماها: غراب الليل!"

١٧- في خارج الحجر

أطل "أبو درصان" من حجره. أبصر البدر لا يزال يتألق (يضئ) في السماء، وينفذ نوره من خلال السحب المتراكمة (المتجمعة) وهى تسرع في جريها، فلا تكاد تستقر في الفضاء. لم ير الجرذ أثر لأن الصبيان. ابتعد عن حجره قليلا.

كانت أمه قد خرجت ٠ في أثناء نومه- لبعض شأنها لم يجد من ردعه ويكفه (يزجره ويمنعه) عن المخاطرة.

فرح "أبو درصان" بما ظفر به من الحرية بعد أن خرجت أمه من الحجر وابتهج. إنه سيحقق ما يهواه، دون أن يسمع منها ما يكرهه – من اللوم- ويخشاه.

١٨- مغامرة حمقاء

استولى عليه الزهو، وتمادى به الغرور، حتى أنسياه حقيقة أمره، وخيلا إليه أن يصعد إلى بيت "أم الصبيان" لينام فيه ويعلن لها سخريته بها وجها لوجه.

أصر على تنفيذ مخاطراته. تلفت حوله. لم يجد للبومة العجوز أثرا. قال متوعدا، وهو يكاد يتميز (يتقطع) من الغيظ: "أين أنت، يا "غراب الليل"؟ أين أنت، يا "أم الصبيان"؟

ألا ليتها بتجئ إلى! أما لو جاءت ووقعت عليها عيناى لقلت لها: أيتها الهرمة العجوز.."

١٩- عاقبة الطيش

لم يعرف أحد ماذا كان يريد " أبو درصان " أن يقوله للبومة: " أم الصبيان"؛ لأنه لم ينطق به=، لو م يتم جملته إلى الآن.

أتعرفون لماذا؟ ن ما حذرته أمه أياه قد وقع:

انقض (سقط) عليه فجأة جناحان هائلان، خيلا إليه أن جبلين هويا على جسمه الضعيف.

أحس كأن عاصفة جارية أكتسحته في طريقها، وسهما مارقا (نافذا) شكه فانتظمه (شمله) في مثل لمحة البرق الخاطفة.

أنشبت العجوز القاسية مخالبها الصلبة في جسمه الغض؛ فلقى مصرعه. كان " أم راشد" بعيدة عن ولدها، فلم تسمع صرخاته الحزينة.

لم يكن يدور بخلدها (لم يخطر ببالها) هذه الخاتمة الراعبة التي انتهت بها حياة ولدها الطائش المغرور.

٢٠- هل علم البدر؟

عادت "أم الصبان" بفريستها إلى عشها، حيث يأوي صبيتها الثلاثة. ظل البدر يرسل إلى الكون أشعته المتألقة، ويشيع ابتسامة العذبة من خلال غضون الشجر.

لست أدرى: هل علم البدر المنير شيئًا من تفاصيل هذه المأساة؟ هل شهد مصرع "أبي درصان"؟ هل أصغى إلى أناته الحزينة وهو يحتضر؟ ما أظن هذا، أيها الأهل الكرامّ!

إني لعلي يقين من أن صاحبنا البدر المنير، لو علم بمصرع "أبي درصان"، دون أن يحزن له ويكف عن ابتسامته التي لا تفارق صفحته، لكان قاسى القلب.

لكن القمر -كما تعلمون- بعيد عن عالمنا الأرضي.

لست أدرى كيف يتسنى له -وهو بعيد عنا- أن يعلم حقيقة هذه المأساة؟ هل ترى هل يعلم أحد منكم غير هذا؟:

٢١- خطبة "الخرنق"

قام أرنب ذكي فتى (صغير قوي) اسمه "الخرنق".

خطب الحاضرين قائلاً: "لعل البدر كان مشغولاً -كما عهدناه دائمًا- بإنارة الطريق للسارين (الذين يمشون بالليل)؛ ليهديهم سواء السبيل، للوصول إلى غاياتهم التي يرجونها.

ما أظن البدر يلتفت إلى من يعصي كلام أمه، ويستهين بنصائحها الغالية. كلا. ما أحسبه يعني بمن لا ينتفع بتجارب غيره من كرام الناصحين.

٢٢- ثمن العناد

لو عرف "أبو درصان" كيف يستفيد من النور، لتجنب الوقوع في الهاوية، ونجا من التعرض للتهلكة.

ما كان للبدر أن يضيع وقته الثمين في البكاء على مثل "أبي درصان" الذي لم يرحم نفسه، وأبى إلا أن يضيع حياته بغروره وجهله، وتماديه في عناده، واستهانته بخطر عدوه الباطش الغلاب.."

الفصل الثالث

١- رائد الحقل

لما أتم "الخرنق" كلمته، وقف عمك الذكي "رائد الحقل" الذي طالما كشف لنا لذائذ من ثمار الحقول القاصية والدانية.

ما أذكر أنني سمعت -في حياتي- قصة أجمل منها.

ما أذكر أنني سمعت -في حياتي- قصة أجمل منها.

لو سمعها ولدي "أبو نبهان" لكف عن عناده ولجاجته، ولم يتماد في ضلاله وغوايته.

لكن أمر الله نافذ، ولا راد لقضائه.

٢- الطائع والطامع

قال "رائد الحقل":

"أيها الأهل الكرام: عاش في قديم الزمان، أرنبان فتيان (صغيران قويان)، اسم أحدهما: "القانع"، ولقبه "الطائع" (اللقب هو الكلمة التي يناديه بها عارفوه، لأنها تصفه).

واسم الآخر: "المانع"، ولقبه: "الطامع".

كان الأول يطيع أمه ويستمع إلى نصحها ولا يخالف لها قولا.

كان يقنع من الزاد (الطعام) بالقليل. لم يكن جميل الشكل؛ لكنه طيب القلب. أما الآخر فكان -على العكس من أخيه- لا يطيع لأمه نصحًا، ولا يقبل لها رأيًا، كما كان شديد الحرص والطمع، لا يقنع بقليل ولا كثير.

٣- نصيحة الأم

وذا صباح فرغ الزاد من جحر أمهما، فقالت لولدتها:

"إني ذاهبة لإحضار الطعام لكما. لن أغيب عنكما إلا قليلاً.

نظمت لكما –بعد عودتي– نزهة جميلة.

لا تبتعدا كثيرًا عن جحركما حتى لا يصيبكما ضرر."

في أثناء غيابها لعبا بالقرب من مكوهما (دارهما) وقتًا قصيرًا.

لكن "الطامع" أصر على الابتعاد عن الدار.

حاول "الطامع" أن يذكره نصيحة أمه، ويحذره الانفراد برأيه. قال له "الطامع": "لن يذهب بعيدًا. تعال معي. لن نخالف نصح أمنا أبدًا!"

٤- مشنة الخس

ظل يحادث أخاه ويقص عليها أجمل القصص –وهما سائران– حتى ابتعدا عن مكوهما من حيث لا يشعران.

تنبه "الطائع" إلى مخاطرة أخيه. قال له خائفًا مفزعًا:

"بعدنا عن المكو (البيت)؛ فلنسرع بالعودة حتى لا تفزع أمي، إذا عادت إلى مكونا (دارنا) فلم تجدنا."

قال "الطامع":

"كلا، لا تخف. سنبلغ المكو قبل أن تعود إليه أمنا بزمن طويل.

ألا ترى مكونا (جحرنا) غير بعيد منا؟ لماذا تجزع (تخاف)؟

أمامنا زمن طويل نقضيه في اللعب والسرور.

انظر إلى ذلك الخس. ما أجعله وأشهاه!

إني لأذوب شوقًا إلى تذوقه وأكله"

كان الخس في مشنة تركها صاحبها في الطري، ريثما يبيع شيئًا منه لطباخ بيت قريب.

أسرع "الطامع". أقبل على أكل الخس في شره عجيب.

٥- جزاء عادل

صرخ فيه "القانع": "ماذا تفعل؟

لو رأتك أمك لقالت عنك: سارق!"

التفت إليه "الطامع". كان قد أتى على الخسة الأولى (أتم أكلها)، وأقبل على التهام الخسة الثانية. قال:

"أمي لم تحضر لنا خسا شهيًا كهذا من قبل؟"

ما إن أتم "الطامع" قولته (جملته)، حتى طوحت بجسمه رفسه عنيفة، دحرجته كالكرة.

دوت في أذنه صيحة غضب، تقول متوعدة (منذرة مخوفة):

أيها الأرنب اللص، ما أجدرك بأن تذبح، وتسلخ، ويطبخ لحمك!"

٦- هرب الأخوين

لعلكم عرفت ماذا حدث؟

نعم! خرج صاحب الخس من البيت.

أبصر هذا الشره (الحريص على الإكثار من الأكل) وهو يسرق خسة. غضب وأسرع يهم بمعاقبته.

هرب الأرنبان. ظلا يعدوان (يجريان) ولا يكفان عن الوثب والقفز، ما وسعهما جهداهما.

لم يصب "الطامع" بضرر كبير. لكن الخوف كان يقتله.

سمع الأرنبان، وهما يهربان، صاحب الخس يتوعد السارق بأعلى صوته، قائلاً: "أيها اللص، ما أجدرك بالذبح والسلخ والطبخ!"

٧- نبات غريب

مازال الأرنبان يقفزان حتى انتهيا إلى حقل مخضر النبات. كان الوثب قد جهدهما (أتعبهما) حتى ضاقت أنفاسهما، فكادا يختنقان.

قال "الطائع" وهو يرتعد خوفا: "ترى أين بيتنا الآن؟"

أجابه "الطامع": "لعله قريب من تلك الشجرة.

سنبلغه توًا (في الحال). لا تنزعج. لنستريح هنا قليلاً حتى يخف ألم الرفسة، ويذهب أثرها. أنظر. ما أغرب نباته. ما أذكر أنني رأيت نباتًا مثله طول حياته!"

قال "الطامع": "أنت لا تعرفه. أما أنا فخبير به إنه نبات البقدونس أما لو ذقت هذا النبات اللذيذ لشكرت لي أن هديتك إليه. تعال فكل منه. أنا لم أر –فيما رأيت– مثله في الازدهار والنضج والنماء. تعال معي نتذوق منه شيئًا"

قال "الطامع": "كلا لست في حاجة إليه.

لست واثقًا –يا أخي– أنه نبات البقدونس الذي تظن.

من الخطأ أن نأكل طعامًا لم تأذن لنا أمنا في أكله."

ثم هز أذنيه الطويلتين محزونًا، وقال:

"خير لنا أن نعود إلى البيت."

قال "الطامع": "الحق ما تقول. لكن يؤسفني أن يفوتك هذا الطعام السائغ الشهي (الطيب الهني). آه لو تذوقته معي!"

٨- مرض "الطامع"

بلغا الدار. رأيا أمهما قادمة عليهما.

قال "الطامع": "أقبلت أمنا. هلم (أقبل) لتحيتها."

أجابه "الطامع" بصوت خافت: "اذهب أنت. إني متعب قليلا. ما أحوجني إلى الراحة."

قال "الطامع": "إن المرض ليبدو واضحًا على سيماك (منظرك)، هل تشعر به؟"

قال له أخوه منزعجًا: "كلا، لست مريضًا. إن الأرنب قد يتعب، دون أن يكون مريضًا! إلا يمكن ذلك، يا أخي؟

لا تقل لأمي: إنني مريض!"

لم يجبه "الطامع" بشيء، بل ذهب إلى لقاء أمه. بقي أخوه يتلوى متدحرجًا من شدة الألم في ركن من أركان الجحر.

تعاون "الطائع" مع أمه في حل حزمة من لذيذ الطعام أحضرتها الأم لينعم بأكلها ولداها العزيزان.

أقبل "الطائع" على هذا الطعام الذي يحبه حبًا جمًا كثيرًا).

أكل منه نصيبه شاكرًا مسرورًا.

حاول "الطامع" أن يأكل. لم يستطع.

أحس بالمرض: سخ حتى كاد رأسه يحترق. انتظم الألم جسمه (شمله) كله. فاض به الألم. لم يطق احتماله بعد هذا.

ارتمى على الأرض متقلبًا صارخاً من قسوة المرض.

٩- النبات السام

قالت أمه محزونة مشدوهة (مدهوشة):

"أي حادث أصابك، يا ولدي؟"

أجابها: إني أشعر بألم هنا –يا أماه– وهنا!.. إني أحس كأن وحشًا ضاريًا (مفترس) يعضني ويمزق أحشائي!. آه.آه. آه!"

قالت له: "ماذا صنعت في أثناء غيابي؟

هل أكلت شيئًا! خبرني بجليه أمرك (بحقيقته)."

اصفر وجه "الطائع": قال: "ذهبنا إلى حقل البقدونس."

صاح "الطامع": "إن "الطامع" لم يأكل منه شيئًا، يا أماه! كلا. لم يأكل منه قط.

أما أنا فأكلت كثيرًا!آه! أي ألم أحس!

الغوث يا أماه. أغيثيني! العون يا أماه، أعينيني!"

قالت أمه: "نبات البقدونس"!

أواثق أنت من أنه نبات البقدونس؟"

قال "الطامع":

"ما أظن ذلك، يا أمي. كان قريب الشبه منه، قلت لأخي: إنه نبات آخر. شممت له رائحة غير رائحة البقدونس!"

صرخت الأم مذعورة: "يا لتعاسة هذا الفتى الصغير!

أكل نبات الشوكران، وهو يحسبه نبات البقدونس!

يا لشقاوته! إنه سم قاتل! رباه! كيف أصنع؟

وارحمتاه لك. يا ولداه!

أسرع –يا "طائع". استدع له الطبيب!"

١٠- آخرة "الطامع"

كاد "الطامع" يغيب عن الوجود من شدة الألم

ارتمى بلا حراك في ركن من أركان الجحر.

كانت تنبعث منه –بين حين وآخر– أنة خافتة، أو حركة رجل، أو خلجة أذن خفيفة.

ظلت أمه المحزونة واقفة بالقرب منه، تحاول أن تخفف من ألمه دون جدوى (بلا فائدة)، وتترقب حضور الطبيب بفارغ الصبر.

لم يستطع "الطامع" أن ينطق –بعد هذا– إلا مرة واحدة. قال بصوت خافت متأوها، وهو يحتضر (حين حضرة الموت):

"أي ألم أحسه؟ الغوث، يا أماه!.."

ثم أدركته منيته (موته)؛ فهمدت جثته (أصبحت بلا حراك)، وسكنت نأمته (سكت صوته).

صاحت أمه متفجعة:

"واحر قلباه! مات الطامع!"

الفصل الرابع

١- ألم الجوع

قالت "عكرشة" لبنتها "زهرة البرسيم":

"هذه –يا عزيزتي– هي الخطب النفيسة التي أبدعها خطباء الحفل. فيها –كما ترين– نصائح غالية، يجدر بكل أرنب متبصر أن يتدبرها ويتوخاها، ويعمل بها ولا ينساها"

أطرقت "عكرشة" لحظة، بدت على وجهها أمارات الكآبة (الحزن) والقلق.

سألتها "زهرة البرسيم": فيم تفكرين، يا أماه؟"

قالت: "أخشى أن تكون قد حدث لأبيك وإخوتك حادث في أثناء الطريق.

الرأي عندى أن تلبثي (تمكثي) في مكانك ساعة حتى أخرج وأعود. طالت غيبتهم.سأرى: في أي الأوقات نحن الآن؟

لعل نهوضي يخفف قليلا من أوجع ساقي."

قفزت "عكرشة" في جهد وعناء. وصلت إلى حافة الجحر. أخرجت أنفها تتنسم الهواء.

عادت إلى "زهرة البرسيم" قائلة:

"إن النهار وشيك الطلوع (قريب الظهور).

مر بنا الوقت سريعًا. نحن لاهيان بقص الحكايات.

اشتد بي الجوع. أصبحت لا أطيق البقاء بلا طعام.

هل تحسين مثل ما أحس من آلام الجوع؟"

قالت "زهرة البرسيم": إن بي مثل ما بك. لكنني لم أشأ أن أسبق أمي بالقول في هذا."

قالت "عكرشة" وهي تحاول أن تظفر بنبات تقضمه (تكسره بأطراف أسنانها وتأكله):

"إذن فلنقضم أي شيء نلقاه؛ ليظل في فمنا، وتظل أسنانا تلوكه زمنًا طويلاً لننسى آلام الجوع، ولنلفظه بعد ذلك.

لعلنا نظفر –بعد– بما نحتاج إليه من الطعام."

قالت "زهرة البرسيم":

"رأيت –أمس– بعض الحشائش الجميلة على مسافة قريبة لا تزيد على عشرات قفزات من جحرنا.

هل تستطيعين أن تقفزي معي حتى نصل إليها؟"

قالت "عكرشة": "سأحاول إمكاني، يا عزيزتي. هلمي بنا."

٢– الغابة

نهضت "عكرشة" متثاقفة. وصلت إلى فوهة الجحر (فمه). وقفت لحظة مفكرة منصتة، شأن الأرانب الرشيدة المتبصرة. أخرجت فاها (فمها) قليلاً، ثم أعادته من فورها.

صبرت قليلاً. أخرجت فاها ثانية –بعد أن اطمأن قلبها– وأدارته يمنة ويسره، وهي تجيل بصرها (تدير نظرها) في كل ناحية.

وثقت من السلامة. خرجت من جحرها.

سارت "زهرة البرسيم" في أثرها.

قفزت "عكرشة" قفزات قليلة.خارت قواها (ضعفت).

عجزت عن متابعة السير. وقفت متألمة. قالت محزونة لبنتها "زهرة البرسيم":

"جهدني المرض. اشتد بي النقرس (وجع المفاصل). أعجزني عن المشي. لابد لي من الراحة –زمنًا قليلاً– حتى أستعيد نشاطي، وأسترد قوتي على السير.

اذهبي أنت. إني لاحقة بك بعد قليل."

قالت "زهرة البرسيم":

"كلا، يا أمي. ليست ثمة ما يعجلنا. استريحي كما تشائين.

ثم سيري الهويني (امشى على مهل) ولا تتعجلي."

شكرت "عكرشة" لبنتها حبها وأدبها.

استأنفتا السير (بدأتا المشي بعد الوقوف). وصلتا إلى الغابة.

قالت "عكرشة" وهي تقضم الحشائش اليابسة (تكسرها بأطراف أسنانها، وتأكلها): "ما ألذ هذا البقل وأشهاه!"

سألتها "زهرة البرسيم"، وقد استساغته (استعذبته واستحلت أكله)، وأقبلت تقضمه في ابتهاج وفرح:

"ما اسم هذا البقل الشهي، يا أماه؟"

قالت "عكرشة": "اسمه، الهندباء. هو –فيما سمعت من جدي– خير دواء يشفي المعدة من أمراضها وآلامها.

صدق جدي. إني كلما أكلت هندباة واحدة من هذا الهندباء الكثير، شعرت بنشاط عجيب. يخيل إلى إنني رجعت إلى شبابي الآن.."

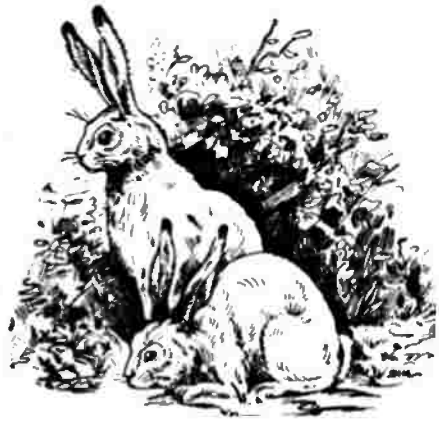

ابتهجت "زهرة البرسيم".

استولى عليها الفرح. قفزت حول أمها من فرط السرور وهي تقول: "يا لسعادتي وهنائي! كوني على ثقة أنك على وشك الشفاء (أن البرء قريب منك، سريع إليك)، ما دمت تشعرين بلذة الطعام، وتقبلين عليه بمثل هذه الشهية العجيبة."

٣– "ابن وازع"

لكن فرحها لم يطل. حدث ما لم يكن في الحسبان.

كف "عكرشة" عن الطعام وقفت على قدميها رفعت أذنيها الطويلتين. ضربت الأرض برجلها بغتة.

استولى عليها الرب. صاحت مذعورة:

"انجي بنفسك، يا صغيرتي. آه.. أسرعي بالفرار.. إنه "ابن وازع" بعينه.. رباه.. هلكنا جميعًا!"

لم تكن "زهرة البرسيم" قد رأت –في حياتها– كلبًا قبل هذه المرة. أيقنت أن ذلك –بلا شك– عدو خطر شرير. لولا ذلك لما فزعت أمها لرؤيته.

صاحت "عكرشة: مرة أخرى:

"إلى الجحر.. إلى الجحر، يا عزيزتي. لا تعني بأمري...

أسرعي، يا صغيرتي. إني أسمع نباح "ابن وازع" الخبيث.. أظنه يقترب.. أسرعي!.. أسرعي!"

قالت "زهرة البرسيم":

"كلا، لا سبيل إلى تركك وحيدة. هلمي معك، يا أمي العزيزة. اعتمي على هكذا.. تشجعي، يا أماه. إن الجحر منا قريب"

جاء الكلب نابحًا عاديًا (مسرعًا في الجري) في مثل سرعة الرياح.

أسرعت "عكرشة" في سيرها على قدر طاقتها. لكن "زهرة البرسيم" توسلت إليها أن تضاعف من سرعتها.

قالت لها وهي تشجعها: "هلمي.. أسرعي، يا أماه لم يبق علينا إلا قفزتان...

وصلنا. شكرًا لله على نجاتنا من ذلك الخطر الداهم"

٤– بعد العودة

كان الجهد والإعياء (التعب والكلال) قد أضنيا "عكرشة" (جهداها وهزلا جسمها). ارتمت في جحرها خائرة القوي. بقيت ساكنة لا حراك بها. جزعت "زهرة البرسيم. اشتد خوفها على أمها.. حسبتها ماتت.. صاحت مذعورة: "أمي!.. أمي!"

فتحت "عكرشة" المريضة عينيها.. اطمأنت عليها "زهرة البرسيم".. أسرعت إليها تلحس جسمها متوددة متلطفة.

لم تلب "عكرشة" أن استعادت قوتها، ورجعت نشاطها.

٥- مطاردة الكلاب

سألتها "زهرة البرسيم":

"أي عداء وخصومة بيننا وبين الكلاب؟ ما بالها تطاردنا على غير جريرة (دون ذنب، وبلا جريمة) أسلفناها، ولا إساءة قدمناها؟"

قالت "عكرشة": إني قاصة عليك –يا عزيزتي– سبب مطاردة الكلاب إيانا. إلا تعرفين الناس؟

لقد أريتك واحدًا منهم في بعض الأيام السالفة.

ما أحسبك نست ذلك العملاق (الطويل جدًا) الذي يمشي مستويًا على ساقين، كما يمشي الأرنب إذا أراد أن يتظرف في مشتيته.

حدثني أبوك أحاديث طريفة عن الرجال والكلاب. لقد عاش معهم ومكث بين ظهرانيهم –كما أخبرتك– ردحًا من الزمن (وقتًا طويلا).

٦- لحم الأرنب

علمت منه ما لم أكن أعلم. هل تعرفين ماذا يطعم الناس؟"

قالت "زهرة البرسيم": "لعلهم يأكلون الشعير، والسعتر، والبرسيم، وما إليها من حشائش الأرض!"

قالت "عكرشة": كلاً، يا عزيزتي! الناس لا يأكلون الحشائش التي نأكلها. لكنهم يطعمون لحوم الحيوان.

تأكد لي –مما قاله أبوك "الخزز"– أن لحم الأرانب هو أفخر طعام عندهم. ألم أحدثك أن أباك "الخزز" هرب من بيت زارع؛ لأنه رأى أرنبًا مذبوحًا؟" قالت "زهرة البرسيم":

"ذكرت الآن ذلك الحديث الغريب!"

٧– كلب الصيد

استأنفت "عكرشة" قائلة: "لكل واحد من هؤلاء العمالقة (الطوال جدا) ساقان طويلتان.

لكنهم –على سوقهم طويلتان– لا يستطيعون الجري في مثل خفتنا لو اقتصر الأمر على ذلك، لعشنا وادعين آمنين، في الخلاء مستريحين. لكن هؤلاء العمالقة يستعدون علينا (يثيرون ويهيجون) خدمهم من الدواب الأخرى التي تمشي على أربع.

هؤلاء الخدم يرتادون(يقصدون) الأراضي المؤرنبة (التي تكثر فيها الأرانب): يشمون رائحتنا من مسافة بعيدة.

يسرعون إلينا –عدوًا (جريًا)– حتى يظفروا بنا، فيقدمونا إلى سادتهم من خدم أولئك لقمًا سائغة.

"ابن وازع" –ذلك الكلب الذي رأيته بعينيك– هو خادم خدم أولئك العمالقة.

إنما اختاروه لصيدنا والتفك بنا، لما وهبه الله من قدرة عجيبة على السباق والعدو.. أعرفت السر فيما حدث لنا معه اليوم؟"

قالت "زهرة البرسيم":

"أوه! فهمت كل شيء، يا أمي.

لست أكتم ما بعثه "ابن وازع" من الرعب في قلبي، حين دوى (علا واشتد) نباحه المفزع في أذني.."

٨- جلد الأرنب

قالت "عكرشة" وهي تلحس شعر ابنتها الأبيض الجميل:

"حدثتك أن الناس يطمعون لحمنا.

هل عرفت، يا "زهرة البرسيم"، ماذا يصنعون بجلدنا -معشر الأرانب- بعد أن يأكلوا لحمنا الشهي؟

إنهم يتخذون من جلدنا -كما يتخذون من جلد ابن عمنا "الأرنب البري"- قلانس (أغطية لرءوسهم) في الشتاء، فيتقون بها برده القارس (القوي العنيف).."

غضبت "زهرة البرسيم" قائلة:

"يا له تبأ هائلاً، يا أماه! فلنحمد الله على أن منحك أذنين سميعتين.

لولا يقظتك وانتباهك، لأصبحنا في قبضة أولئك العمالقة."

قالت "عكرشة":

"إنهم -لفرط إعجابهم بجمال فرونا- يطلقون على بعض ثيابهم اسم: الثياب المرنبانية؛ لأنهم يخلطون غزلها بشعرنا."

٩- هدية "الخزز"

في هذه اللحظة، سمعنا ضجة كبيرة بالقرب من مكوهما (الجحر الذي تسكنه الأسرة الأرنبية)؛ فعلمتا أن الأسرة قادمة إليهما من رحلتها.. وقد استقبلتاها -حينئذ- فرأتا أمارات الفرح بادية على وجه "الخزز" وأولاده.

قر قرارهم. قال "الخزز":

"ما كان أسعدهم ليلة، وألذه طعامًا! لقد جئتكما بشيء من البرسيم، لتشركانا في هذا الطعام السائغ الهنيء."

خاتمة القصة

حدق "الخزز" فيها برهة (زمنًا طويلاً)، ثم قال مذعورًا:

"يلوح (يظهر) لي أن حادثًا ألم بكما؛ فإني أرى أمارات الحزن مرتسمة على وجهيكما!"

قصت "عكرشة" عليه ذلك الحادث الراعب المرهوب الذي عرض لهما.

كانت الأرانب الصغار جالسة تنصت إلى حديث "عكرشة" –في صمت ودهشة– وآذانها منتصبة ممتدة إلى الأمام، وأذنابها مرتفعة.

لما انتهى حديث "عكرشة" أقبل عليها بنها وبنتاها يلحسون أعين أمهم العجوز الرءوم، وأختهم الصغيرة الجميلة "زهرة البرسيم".

أم الصبيان

عـــاش –مـــن الجـــن– تابعـــان ... فـــي ســـالف العصـــر والأوان
وصـــاحبا بومـــة ظريفـــة ... مهـــذبا طبعهـــا، أليفـــة
عاشـــت وعاشـــا خيـــر صـــحبة ... وألفـــا –بـــالوداد– عصـــبة
وذات يـــوم ظلـــت تصـــيح ... وصـــوتها منكـــر قبـــيح
فاقبـــل التابعـــان تـــوا ... لمصـــدر الصـــوت حـــين دوى
ودانياهـــا مســـتعجبين ... وســـألاها مستفســـرين:

"ما بال أم الصبيان تعوي؟"

قالت:

من الجوع كدت أذوي!

لا حشـــرات فـــي أي وادي ... ولا بعـــوض يكـــون زادي
ظللـــت، ليلـــي وليـــل أمـــس، ... باحثـــة عـــن بنـــات عـــرس
أو فـــأرة تغتـــدي طعـــامي ... أو جـــرذ ضـــل فـــي الطريـــق
أو أرنـــب –فـــي الحقـــول– يجـــري ... أو طـــائر –فـــي الهـــواء يســـري
عـــزت جميعًـــا، وعيـــل صـــبري ... وضـــقت ذرعًـــا، وضـــاق صـــدري!"

قال لها التابعان:

"صـــــــــــــــــــــــــــــــــبرا، فلـــــيس يجـــــدي العويـــــل أمـــــرًا

ولـــــــيس يغنـــــــي بكـــــــاء بـــــــاكي ولـــــيس يجـــــدي صـــــراخ شـــــاركي

فضـــــــــاعفي الجـــــــد والرجـــــــاء واســــــتلهمي العـــــزم والمضـــــاء

فالجـــــــد بالحـــــــازمين أجـــــــدي والصـــــبر أولـــــى بهـــــم وأهـــــدى

الجـــــد خيـــــر مـــــن الصـــــياح والنـــــدب والحـــــزن والنـــــواح!"

أعلام الحيوان

"نثبت في هذا المعجم الصغير طائفة من أسماء الحيوان وكنا وألقابهن ليرجع المدرس عند الحاجة.

(١)

ابن عرس: السرعوب

أبو فصاده: الذعرة: أم عجلان

الأتان: أم الهنبر: أم تولب

الأرنب: أبو نبهان: الخزز: الخرنق

(الخرنق: الفتى من الأرانب)

الأرنبة: عكرشة

الأسد: أبو الأمن: أبو فراس

أم عويف: أم حبين: دويبة صغيرة

ضخمة الرأس، مخضرة، لها

ذنب طويل، وأربعة

أجنحة، إذا رأت الإنسان

قامت على ذنبها، ونشرت

أجنحتها، وهي لا تطير

ويقال لها "ناشرة برديها"

يلعب بها الصبيان ويقول لها:

"أم عويف أنشري برديك

ثمت طيري بين صحراويك

إن الأمير خاطف بنتيك

بجيشه، وناظر إليك"

(ب)

البازي: أبو الأشعب

البرص: أبو بريص: سام أبرص:

أبو سلمى: أبو سلمان

البرغوث: أبو طاهر

البطة: أم حفصة (تقول: هذا

بطة وهذه بطة، كما تقول:

هذا بقرة، وهذه بقرة،

لتعين الذكور والإناث)

البغل: أبو الأحطل

البقرة: الجؤذرة: الخنساء (بقرة معجل: ذات عجل)

البومة: أم الخراب: أم الصبيان: غراب الليل.

(ت)

التيس: أبو الخير

(ث)

الثعلب: أبو الحصين: الثعلبان (أنثاه ثعال. وولده: الهجرس)

الثور: أبو زرعة: أبو فرقد: الأخنس (أنثاه الخنساء)

(ج)

الجاموس: أبو العرمض

الجحش: التؤلب

الجذع: التيس في السنة الثانية

الجراد: أبو قيس: أبو عوف

العنطب: العنظوب (أنثاه، العنطوانة، وولده السروة)

الجفر: ولد المعزى بعد ما يفطم (جمعه: جفار)

الجمل: أبو أيوب (الجمل ذو السنامين: القرعوش، والفلج)

(ح)

الحدأة: أبو الخطاف

الحصان: لاحق (أنثاه الحجر، وولده المهر)

الحظيرة: الزريبة: المعطن: العطن: المربض: الكناس: الاصطبل

الحلان: الجدي الذي يشق عنه بطن أمه

الحمار: ابن المراغة: أبو زياد: أبو صابر

الحمارة: أم تؤلب: أم وهب: أم نافع

الحمام: أبو النظيف (أنثاه عكرمة وولده: مج: بج: عزهل)

الحية: بنت الدواهي

الحيوت: (أنثاه: الحية)

(خ)

الخنزير البري: العفر: أبو جهم: أبو دلف (ولده: الخنوص)

(د)

الدب: أبو جهينة (ولده الديسم)

الديك: أبو يقظان (أنثاه: الدجاجة، وابنه: البرني، وبنته الفروجة)

(ذ)

الذئب: أو جعدة: عسعس (أنثاه: جهيزة)

(ر)

الربوب: جماعة البقر

الرخلة: الأنثى من الحملان

الرخم: العدمل: (أنثاه: الرخمة، أولاده: النقانق)

الرفساء: العنز السوداء المنقطة ببياض

(ز)

الزرافة: أم عيسى

(س)

السخلة: ولد الماعز ساعة وضعه (جمعه: سخال)

السرطان: أبو بحر

السلحفاة: بنت طبق

السمك: أبو العوام: بنت دجلة

(ش)

الشاة: أم الأشعث (أرض مشاهة ذات شاء)

الضب: أبو حسل

الضبع: أم قشعم

الضفدعة: العلجوم: أبو هبيرة: القرة: العدمول: النقاق

الضفدع الصغير: السرغ

الضفدعة: أم هبيرة: الهاجة (ويسمى بيضها: القر)

(ط)

الطاووس: أبو الحسن

أسرة الحيوان

الأرنب

اسمه: الخزز

كنيته: أبو نبهان

أنثاه: عكرشة

ولده: الخرئق

الثور

أنثاه: البقرة

لقب الثور: الأخنس

لقب البقرة: الخنساء

البط

اسمه: العلجوم

أنثاه: البطة

كنيته: أم حفصة

الثعلب

اسمه: الثعلبان

أنثاه: ثعال، أو: ثعالة

ولدها: الهجرس

كنيته: أبو الحصين

الجراد

اسمه: العنظب

كنيته: أو قيس، وأبو عوف

أنثاه: العنظولة

ولده: السروة

الحمام

أنثاه: عكرمة

ولده: مج. بج. عزهل

كنيته: أبو النظيف

الحيات

أنثاها: الحية

زوجها: الحيوت

الخنزير

اسمه: العفر

كنيته: أو دلف، وأبو عقبة

ولده: الخنوص

الدجاج

زوجها: الديك، العترفان

الأنثى: الدجاجة

ابنها: البرني

بنتها: الفروجة

كنية الديك: أبو يقظان

الذئب

اسمه: عسعس

أنثاه: جهيزة

كنيته: أبو جعدة

الرخم

اسمه: العدمل

أنثاه: الرخمة

أولاده: النقانق

العقاب

اسمها: الغرن

أثناها: القنواء

ولدها: الناهش

العقرب

إناثها: العقرب

ذكورها: العقربان

أولادها: الفصعل

العنكبوت

اسمها: العكاش

أنثاها: العنكبوت، أو: العنكبة

كنيتها: أبو خيثمة

الفيل

اسمه: كلثوم

أنثاه: غيثوم.

ولده: الدغفل

كنيته: أبو الحجاج

القرد

اسمه: الراح

أنثاه: الدحية

ولده: القشة

القطا

من أسمائه: اليعقوب

أنثاه: قطاة

ولده: النهار

الكروان

اسمه: الطريق، أو: الطريق

ولده: النيل

الكلب

من أسمائه: واشق

كنيته: أبو خالد

أنثاه: براقش

ولده: قطرب

النسر

اسمه: الضريك

إناثها: العترة

ولده: الهيثم

النحل

اسمه: الثول

أنثاه: النحلة

ولده: الرصعة

القط

اسمه: مخدش

أنثاه: سنورة

ولده: الشبرق

المحتويات

الفصل الأول ٨

الفصل الثاني ١٧

الفصل الثالث ٢٩

الفصل الرابع ٣٧

رقم الإيداع	١٩٧٦ /٤٣٦٣
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧ -٢٤٦ -٤١٥ -٢

٢٣٧/ ٧٦/ ١ مطابع دار المعارف- ١٩٧٦